عالمية القضية الحسينية

من محاضرات

المرجع الديني المحقق سماحة آية الله العظمى

السَيِّد صَادق الحُسيني الشِّيرازي (دام ظلّه)

إعداد وترجمة: ضياء الزهاوي

مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الثقافية

الناشر

للتواصل:
الموقع الإلكتروني: www.alanwar14.org
البريد الإلكتروني: info@alanwar14.org
هاتف جوال: ٠٠٩٦٦٥٦٠٢٥٧٥٧٦

دار المؤمل للطباعة والنشر
بيروت – لبنان
شارع بئر حرة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ – ٢٠١٢م

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، والفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق، واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

إن أهم ما يميز قضية الإمام الحسين عليه السلام هو البعد العاطفي في ثورته الخالدة، فمن الملاحظ أن ثورته عليه السلام من أكثر الثورات عاطفية ومأساوية وهو المدخل الأول والأهم لدى المؤمنين بمظلوميته وهو – أيضاً– الذي أبقى شعلة كربلاء وشعلة استشهاده متقدة وخالدة طوال التاريخ.

وإن ذلك الزخم العاطفي لم يأتِ من فراغ، فما يحويه السجل الإنساني من سيرة لعظماء البشرية، وما جري عليهم، لم يسجل هذا الكم الهائل من التضحيات والمعاناة كما هي في ثورة كربلاء، فالمسيحيين حين يتحدثون عن معاناة المسيح وما لاقاه من معاناة وألم، وحمله

لصليبه فيما يُعرف بطريق الآلام، فإنهم يرون إن ماجرى عليه لم يبلغ معشار ما جرى للإمام الحسين عليه السلام.

ويجب أن نعلم أن علماء المسيحية يستثمرون ما جرى على المسيح -كما يعتقدون- في التبشير لديانتهم، وقد نجحوا إلى حد كبير، وعلى الرغم من ذلك فقد صرح بعضهم أنه لو كان لهم شخصية كالحسين وجرى لها ما جرى من مآسي وبلايا في كربلاء لرفعوا له في كل بلد علماً ولدعوا للمسيحية باسمه ومن خلال معاناته، ويروي أحد المسلمين العرب أنه زار مكتبة الفاتيكان فتعجب من احتوائها على عشرات الكتب التي تتحدث عن الحسين وواقعة كربلاء، ومن المؤكد أنهم يستلهمون من مأساة كربلاء زخمها وتأثيرها العاطفي ويسخرونه في الدعوة إلى الديانة المسيحية بإسقاط تلك الماسي والأحزان على سيرة المسيح وما تعرض له من آلام.

وقد أبدى بعض التجار والمتجولين في البلدان الغربية وغيرها، استغرابهم وتعجبهم حينما زاروا مناطق لاوجود فيها للمسلمين وبالرغم من ذلك يشاهدون راية الإمام الحسين عليه السلام مرفوعة في تلك الأقطار النائية، وأخرى دخلها الإسلام حديثاً ببركات كربلاء وماجرى على الإمام الحسين من مآسي وظلم، فتعتنق قرى ومدن بأكملها الديانة الإسلامية وينضموا لقافلة سيد الشهداء يدفعهم في ذلك المبادئ والقيم والأخلاق الراقية التي تعامل بها الحسين عليه السلام مع أعدائه قبل أصحابه ومريديه.

إن البعد العاطفي والمأساوي لثورة كربلاء جعلت الكثير من غير المسلمين يستشعرون عظمة الإمام الحسين عليه السلام ويتفاعلون معها لما مثلته من وصمة عار في جبين الحكام المجرمين والظلمة، ويستلهمون

من ثورته دروساً في الحرية والكرامة والإباء، يخلدون بها عزاً لأجيالهم القادمة، ويروا في الحسين قائداً وقدوة في دفاع الإنسان عن حريته وعزته حتى وإن كان الثمن إراقة دمه والتضحية بأبنائه وأصحابه وسبي نسائه.

وفي هذا السياق نسمع الكثير من القصص عن أقوام أصحاب ديانات مختلفة لاتتصل بالإسلام فضلاً عن التشيع لا من قريب ولا بعيد، يساهمون بأموالهم وجهودهم في إحياء ذكرى استشهاده عليه السلام حيث نسمع من أحد العراقيين ممن عاش فترة طفولته مع جيران من الطائفة الأزيديه، إعلانهم الحزن والحداد في كل عام بتعليق السواد على منازلهم والمساهمة في صنع المشروبات للمشاركين في مآتم العزاء، ووضع أنفسهم وأبنائهم في خدمة أصحاب المؤسسات الحسينية طوال فترة عاشوراء، لما يروه من هذه الشخصية العظيمة، من عطاء شمل به أتباعه ومريديه وممن لم يعرفه أو يتصل معه بدين.

وفي كل عام تشهد المآتم الشيعية بكربلاء وكل مناطق العراق تقريباً، مشاركة واسعة من المسيحيين الذين يخصصون أيام عاشوراء لحضور المجالس الحسينية وتأبين أبي الأحرار عليه السلام كما لايفوتهم الالتفاف حول (المضايف) التي تقام بكثرة في أيام عاشوراء، ويحرصون على تناول الطعام الذي يقدم باسم الحسين، حيث يرون فيه استشفاءً لأمراضهم وإنه ببركات هذه الشخصية المقدسة تقضى حوائجهم، ولم يكن من المستغرب أن يقوم بعض زعمائهم بتأجيل الاحتفال بأعياد الميلاد في السنوات الماضية لتعارضها مع إحياء عاشوراء، احتراماً وتقديراً منهم لشخصية الإمام الحسين ومأساته في كربلاء.

ويجب القول إن علينا توظيف البعد العاطفي في ثورة الإمام الحسين عليه السلام لتوضيح قضيته العادلة التي ثار واستشهد وبذل الغالي

والنفيس لأجلها، ولرفع راية الإسلام وجعلها منطلقاً لتنقية التاريخ الإسلامي من الشوائب التي علقت به بفعل الحكام الظلمة، الذين حكموه على مر التاريخ، وبفعل أتباعهم الذين كتبوا تاريخ الإسلام وفق مصلحة أسيادهم وولاة أمورهم، كي يُثَبِّتُوا ويكرسوا حكمهم ويقدموه لعامة المسلمين على أن سيرة أولئك الظلمة هي سيرة الحاكم الإسلامي وفق ما يرتضيه الإسلام، فالحسين بثورته وشهادته قلب موازين حكمهم الجائر وفضحهم عبر التاريخ ورفع راية الحق بإزالة الشوائب عن الإسلام المحمدي الناصع والحقيقي، وكونه حفيد نبي الإسلام أعطاه ذلك مصداقية وقوة أكثر، فهو تربية ذلك البيت النبوي وهو الأولى بإبراز صورة الدين الحقيقية، والحفاظ على دين جده كما أُنزل.

وبمناسبة ذكرى استشهاده عليه السلام لسنة ١٤٣٤هـ، تضع مؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية بين يدي القارئ الكريم هذا الكتاب والذي يأتي بعنوان (عالمية القضية الحسينية) لسماحة المرجع الديني المحقق السيد صادق الحسيني الشيرازي -دام ظله- (مجموعة محاضرات) نرجو أن يكون هذا العمل شفيعاً لنا يوم القيامة، وأن ينفع به المؤمنين السائرين على نهجه ويهدي به المخالفين إلى طريق أهل البيت عليهم السلام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

مؤسسة الأنوار
الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية
٢١/ ١٢/ ١٤٣٣هـ

١

عالمية القضية الحسينية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين[١].

عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

في البدء أعزّي الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذا اليوم المؤلم والحزين على قلوب أهل البيت عليهم السلام؛ فهو المعزّى وولي دم جدّه الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل مظلوماً صابراً محتسباً، وهو المدّخر للانتقام من القتلة الظلمة في الدنيا، وإلاّ فإنّ الانتقام مهما بلغ فهو لا يجبر الجريمة الكبرى التي اُرتكبت بحقّ الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر من محرّم الحرام.

---

(١) المحاضرة القيِّمة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله الوارف) في ليلة الحادي عشر من محرم الحرام لسنة ١٤٣٣هـ في جمع حاشد من المواكب والهيئات الحسينية.

كما أتقدّم بالتعازي إلى جميع المسلمين في كافّة أنحاء العالم وإلى المؤمنين والمؤمنات الذين عملوا بكل إمكانياتهم المختلفة لإقامة مراسيم العزاء وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل هذا القليل من الجميع بأحسن قبول وأن يجعله في ميزان أعمالهم في يوم الحساب.

من مآسي عاشوراء

نقل الشيخ ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات -الذي يعد من المصادر الشيعية المهمّة والمعتبرة- برقم ٢٢٠ و٣٥٧ روايتين مفصّلتين حول القضية الحسينية المقدّسة نشير إليهما باختصار.

وقد وردت الروايتان في المصادر الشيعية الأخرى ومنها كتاب بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ ويمكن للجميع الوصول إليهما بسهولة وقراءتهما، ومن المناسب الاطلاع عليهما والتمعّن في كلّ كلمة وردت فيهما.

الرواية الأولى سندها مروي عن أحد أصحاب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ المقرّبين وهو (ليث المرادي) المكنّى بأبي بصير والمعروف بالوثاقة لدى الفقهاء.

حضر أبو بصير يوماً عند الإمام وتشرّف بلقياه، فتحدّث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن واقعة الطف الأليمة وماجرى على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من محن ومصائب، ولما بلغ بعض الوقائع انقلب حاله عَلَيْهِ السَّلَامُ وقام من مكانه وأخذ يناجي ربّه، وكان أبو بصير أيضاً قد تغيّر حاله لِما رآه من حال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ولذا لم يروِ مناجاة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد تغيّر حال أبو بصير بحيث إنه لم يستطع النوم تلك الليلة لشدة ما رآه من تغيّر حال

الإمام الصادق عليه السلام.

أمّا الرواية فهي: عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام أحدّثه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى، وقال: يا أبا بصير، إذا نظرتُ إلى ولْد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إنّ فاطمة (صلوات الله عليها) لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيحفظونها [فيكبحونها] مادامت باكية، ويزجرونها، ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء.

وإنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلاتزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض.

ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها. قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم!

قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير، أما تحبّ أن تكون فيمن يسعد فاطمة (صلوات الله عليها)؟

فبكيتُ حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدر على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجِلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنتُ وحمدت الله.

أسباب تغيّر حال الإمام عليه السلام

لا يخفى أنّ حالات المعصوم وطباعه تختلف تماماً عن الناس العاديين، إذ إنّ الإنسان يتأثّر بالمسائل العاطفية ويشعر بشعور يقلبه رأساً على عقب، أمّا المعصوم عليه السلام فهو في أوج العاطفة والرحمة لا يتأثّر بالمشاعر والأحاسيس العاطفيّة، وتغيّر حاله يكشف عن أنّ الموضوع في غاية العظمة والأهميّة؛ لأنّ الإمام حجّة الله في أرضه وسمائه، وهو معلّم الأكوان والملائكة والأنبياء، وهو أشرف الأولين والآخرين بما فيهم الأنبياء والمرسلين من بعد خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يختلفون عن جدّهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بمقام النبوّة، ولذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يتأثّر الإمام عليه السلام بقضيّة عاطفيّة أو تظهر عليه الأحاسيس والمشاعر الجيّاشة، والأنموذج البارز لذلك هي واقعة عاشوراء الفجيعة حيث كان وجه الإمام الحسين عليه السلام يتلألأ نوراً كلّما فقد عزيزاً من أهل بيته وصحبه الأبرار، والحال أنّ المصائب التي نزلت به من أعظم المصائب وأشدّها، ومن الصعب بمكان تحمّلها.

والسؤال هنا هو: لماذا تغيّر حال الإمام الصادق عليه السلام لدى سماعه بعض وقائع عاشوراء فقام من مكانه وتفرّغ للدعاء والعبادة؟ ولماذا تشهق الصدّيقة الزهراء (صلوات الله عليها)؟

الجـواب: إنّ من يعرف عظمة الصديقـة الزهراء عليها السلام ووجاهتها عنـد الله سـبحانه يدرك مليـاً أنّ تغيّر حال الإمـام الصادق عليه السلام لم يكن ناجماً عن الإحساس العاطفي.

حزن لا ينتهي

إنّنـي أدعـو الأخـوة -وأكثرهـم مـن أهـل العلـم وطلبـة الجامعة والمدارس- أن يسـتثمروا أوقاتهم ويسـعوا لمطالعة الرواية بشكل كامل من مصدرها، والتدبّر في كل كلمة من كلماتها.

يقـول أبـو بصير، قال الإمـام الصـادق عليه السلام: إنّ فاطمة (صلوات الله عليها) لتبكيه وتشهق.

وقد اُستخدِمَتْ كلمة الشهقة في اللغة العربية في من يصاب بلوعة فتنحبس أنفاسه في أعماقه مع عدم القدرة على التنفّس، ومن ثمّ وبشكل مفاجئ يتنفّس من عمق وجوده بتألّم ولوعة.

مثل هذه الحالة في اللغة تسـمّى الشهق والشهقة. بالطبع كل نَفَس لايقـال لـه شـهقة، وإنّما النفـس الذي يحبـس جراء مصيبـة عظمى ومن ثمّ يطلقه الإنسـان من أعماقه يسـمّى شـهيقاً، ففي اللغة: الشهيق: الأنين الشـديد المرتفـع جداً، وأمّا خـروج النفس فيسـمّى زفيراً، وقـد ورد في القرآن الكريم أنّ لجهنم شهيقاً وزفيراً.

ولا يخفى على أهل العلم أنّ اسـتعمال الجملة الفعلية في الجُمل يدل على الدوام والاسـتمرار خاصة إذا كان فعلها مضارعاً، وفي الرواية الشريفة بدأ الإمام الصادق عليه السلام بالجملة الفعلية، فقال: تشهق، ما يعني أنّها (صلوات الله عليها) تشـهق وتتألّم دوماً لمصائب عاشوراء، لذا تأثر الإمام عليه السلام لما روى الرواية ما أثّر على أبي بصير تبعاً له.

تأثّر عوالم الخلقة

لم يصرّح الإمام الصادق عليه السلام عن المدّة التي تبقى مولاتنا الزهراء عليها السلام تشهق فيها، فقد تكون في كل ليلة من ليالي عاشوراء أو في يوم عاشوراء من كل سنة، ومن الممكن أنّها تشهق طوال السنة، أو يكون حالها كذلك في يوم شهادة الإمام عليه السلام إلى يوم القيامة.

وعلى أيٍّ، فإنّ القدر المتيقّن من الرواية أنّها عليها السلام تشهق في ليلة عاشوراء ويومه، وشهيقها هذا لا يؤثّر على الكرة الأرضية فحسب، بل يشمل جميع العوالم ويترك بصماته على كل شيء ماعدا الذات الإلهية، وكل ما في الوجود يختل نظامه وعمله.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أنّ الإنسانية لا تتحمّل هذه الشهقة، ولو بلغنا ذرات منها لهلكنا؛ لأنّ الإنسان ليس له القدرة على تحمّل سماعها.

وهذه الشهقة لسيدة النساء عليها السلام والمصيبة العظيمة التي حدثت للإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن تنتهي في يوم من الأيام، بل هي سرمدية وخالدة، وهذا ما أكده نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «فلا يزداد إلاّ علواً».

تأثّر نار جهنم

من المؤكد أنّ الشهقة التي تشهقها السيدة الزهراء عليها السلام تترك أثرها على كل الخلائق، وطبقاً للرواية فإنّ لون جهنم أسود من شدّة الحرارة، وقد نقل الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الاختصاص رواية مفصّلة حول جهنم -أوصي الأخوة المؤمنين بقراءتها ليطّلع الإنسان على أهوالها ويتعظ لدينه ودنياه- وأعتقد أنّ من يطالع أحوال جهنم بإمعان لن يتمكن

من النوم والسكينة إلى الصباح من شدّة الخوف والفزع!

فمثل الشمس التي هي كرة عظيمة من النار رغم شدّة حرارتها إلاّ أنّ لونها لم يتغيّر ولم تصبح سوداء، وأتذكر عندما كنت في كربلاء المقدسة -قبل خمسين عاماً- أنّني قرأت كتاباً عن طبيعة الشمس ورد فيه: أنّ درجة حرارة الشمس هي ١١٠٠٠ درجة، وأنّ الحرارة لو بلغت ٨٠٠ إلى ٨٥٠ تذيب الفولاذ، ولذا فإنّ حركة الفولاذ في الشمس كحركة الغاز، وهذا دليل على شدّة حرارة الشمس، وبالرغم من ذلك فإنّ لونها لم يتغيّر ويصبح أسوداً.

الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام يصرّح: أنّ شهقة الزهراء عليها السلام تؤثّر على جهنم فتضجّ وتزداد لهيباً، ولولا أنّ الملائكة الموكلين بها يغلقون أبوابها لأحرقت الكون بأسره وأهلكت جميع الموجودات.

وهنا يطرح السؤال التالي: ماهي حقيقة تلك الشهقة الأليمة التي تشهقها الصديقة الزهراء عليها السلام؟

ولماذا لم تشهق سيدة نساء العالمين يوم شهادة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهادة أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، والحال أنّهم أفضل من الإمام الحسين (صلوات الله عليه)؟

أليس أنّ شهقتها عليها السلام تنبأ عن فداحة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام؟

تأثّر البحار والمحيطات

إنّ شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تترك بصماتها على كل قطرة ماء في هذا العالم الواسع فيوعز الله -عزّ وجلّ- إلى الملائكة الموكلين بالبحار والمحيطات أن يسيطروا عليها إثر شهقتها عليها السلام، وإلاّ لتلاطمت الأمواج العاتية وآل الأمر إلى غرق الكرة الأرضيّة وفنائها عن بكرة أبيها..

تأثّر الأرض

ومن الأمور التي تتأثر بشهقة السيدة الزهراء عليها السلام هي الأرض حيث تترك تلك الشهقة زلزالاً مهيباً وشديداً في الأرض، ولولا تسبيح وتقديس الملائكة لساخت الأرض ومن عليها من عظمة تلك الشهقة؛ لأنّ الملائكة عندما تسمع شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تبدأ بالتهليل والتقديس بصوت عالي ومناجاة البارئ عزّ وجلّ خشية أن تباد الأرض، ممّا يوجب عطف ورأفة الخالق المتعال وبقاء الأرض في أمان.

وكما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الشهقة شديدة ومهيبة بحد أنه لو لم يسيطر عليها لحدث زلزال عظيم يمحو الأرض وصارت أثرًا من بعد عين.

ولو سمع الناس قليلاً من تسبيح وتقديس الملائكة وهم يقولون: «سبوح قدّوس» لانقلبت مقاييس الأرض وصار عاليها سافلها وماتت بقية المخلوقات.

عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام

عندما انقلب حال الإمام الصادق عليه السلام وتغيّرت أوضاعه قام وذكر الله -عزّ وجلّ- وسبّحه كثيراً، ومن الممكن أنّه عليه السلام دعا الله سبحانه وتعالى أن يرفع البلاء عن المؤمنين والمؤمنات وأن يزيد من توفيقاتهم لإقامة مراسيم العزاء والمراثي على الإمام الحسين عليه السلام.

ولو أمعنّا النظر في مراسيم عاشوراء في كل سنة ودققنا في العظمة التي تكتنفها من التفاف الناس حولها وما شابه لتجلّت لنا ومضة بسيطة من دواعي شهقة بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

عاشوراء في زمن الظهور

لا شك أنّ عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام لا يطفأ نورها بعد ظهور بقية الله الأعظم (أرواحنا لمقدمه الفداء) بل هي مستمرة إلى يوم القيامة، والروايات الواردة عن الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) تدلّ بشكل جلي على أنّ قضايا عاشوراء تأخذ أبعاداً أخرى في ذلك اليوم، حيث تدرك الخلائق ما جرى ويتّضح للجميع حقيقة ثورة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) والأهداف التي كان يبتغيها، والمظلومية العظيمة التي حلّت به، والعاقبة والعذاب الشديد لمن قتله وظلمه ووقف في طريق نصرته ونصرة شعائره المقدّسة.

كما أنّ دم الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن جبره بأيّ حال من الأحوال، والله سبحانه وتعالى أعلم وحده بالقيمة الواقعية لقطرة الدم التي أُريقت من سيد الشهداء عليه السلام وعظمتها، ولن يعوضها شيء في هذا الكون الواسع في أيّ زمان.

وكلّما فعلناه في عزاء الإمام الحسين عليه السلام يعود نفعه لنا أولاً وأخيراً، فببركته عليه السلام ننال القرب الإلهي وعلو الدرجات ودعاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء عليها السلام والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

والاّ فأيّ عمل مهما عظم وكبر فهو لا يسدّ معشار قطرة من قطرات دمّ الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هذا المنطلق تبقى عاشوراء سرمدية أبديّة معطاءة لا تتوقّف ثمارها إلى يوم القيامة، والله -عزّ وجلّ- وحده يعلم ماذا جرى ليلة أمس واليوم (ليلة عاشوراء ويومه) في المعمورة جمعاء، فقد أقام الناس

-الرجال والنساء، الكبار والكهول، شيعة وغيرهم- الشعائر الحسينية في كل شبر منها، هذا بالنسبة للإنسانية، أمّا البحار والمحيطات والوحوش والطيور وحتى الجِنان فحدّث ولا حرج، إذ أنّ الجميع يتسابقون لإقامة مراسيم العزاء والنياح على ريحانة رسول الله عليه السلام.

محاربة الشعائر الحسينية

نقل الأخ الراحل رحمه الله قائلاً: قبل ثمانين عاماً تقريباً ورد كل من رضا خان في إيران وياسين الهاشمي في العراق وأتاتورك في تركيا عالم السياسة، وكانوا يحملون مهمّة واحدة وغاية مشتركة ألا وهي القضاء على الدين وتقويض الشعائر الحسينية المقدّسة، ولكن باء الثلاثة ـ رغم خشونتهم المفرطة والأعمال الإجرامية والأساليب القمعيّة التي قاموا بها- بالفشل الذريع، وظلّت أفعالهم وصمة عار تلاحقهم إلى يوم يبعثون، وسوف تبقى الأجيال تلعنهم إلى الأبد.

فقد حكم البهلوي في إيران ما يناهز العشرين سنة وعمل في السنين الخمس الأخيرة من حكمه بكل حزم وشدّة على محاربة الشعائر الحسينية والنيل منها، فحبس الخطباء وضربهم وغرّمهم غرامات مالية كبيرة، كما سجن وعذّب كل من يقيم العزاء وعاقبهم بعقوبات شديدة وقاسية، وقد طال ذلك حتى الذين كانوا يقيمون العزاء في بيوتهم الخاصة.

وأمّا في العراق، فقد حارب ياسين الهاشمي -طوال تولّيه منصب رئاسة الوزراء- الدين بقوة فضلاً عن الشعائر الحسينية، وتجاوز كل حدود الأخلاق والأعراف الدينية حتى فاق نظيره البهلوي في إيران إذ أنّ البهلوي كان يسجن مقيمي الشعائر والمجالس، أمّا الهاشمي فبالإضافة إلى ذلك فقد أصدر -في زمن السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا

النائيني وبقيّة العلماء الأعلام- قراراً في وسائل الإعلام بإهانة وتحقير العلماء ورجال الدين.

ولم يستمر هذا الوضع طويلاً إذ أنّ السيد أبو الحسن الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ قلب الموازين لصالح الطائفة الحقّة، وكانت النتيجة أن خابت آمال الهاشمي في القضاء على الشعائر والمذهب ولم يحقّق أهدافه المشؤومة على أرض الواقع.

وبطبيعة الحال، هناك علماء أعلام وشخصيات كبار أمثال الشيخ عبد الكريم الحائري والسيد حسين القمّي (قدس سرهما) وقفوا مواقف حازمة لحماية الدين الإسلامي المبين من الانحراف والحفاظ على الشعائر والمجالس الحسينية حيث تحدوا جبروت البهلوي وضحّوا بالغالي والنفيس في طريق ذات الشوكة، وسقط في سبيل إعلاء كلمة الدين وبقاء صرخة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدوّية العديد من المؤمنين شهداء ليلتحقوا بقوافل الشهداء الذين سقطوا طوال التأريخ على مقصلة العقيدة.

وقد تكرّر السيناريو في تركيا على يد أتاتورك الذي أراد القضاء على الدين كليّاً، وعمل بشتى الوسائل والطرق لهذا الهدف، وكان مدعوماً بقوّة من القوى والحركات المعادية للإسلام.

إن كل الشواهد والدلائل تشير إلى أنّ الظلم والجور لم يمنع الأمة ولو بقدر أنملة أن تقيم الشعائر الحسينيّة وتحيي مراسيم العزاء على سيد الشهداء (صلوات الله عليه)، وباءت كل المحاولات بالفشل وخيبة الأمل، وكما نشاهد اليوم فإنّ المراسيم تقام في كل مكان من أصقاع العالم وترتفع رايات الإمام المظلوم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دول وبلدان لم يكن يتصورها العقل في يوم من الأيام. ولم يشهد التأريخ حيوية و حماساً كما في الشعائر والمآتم الحسينية الراهنة حيث استمدّت الشعائر عنفوانها

وديموميتها من عظمة أهدافها التي انطلقت من أجلها على يد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

بل صارت الشعائر الحسينية محوراً تشدّ المجتمع وتزيد من أواصر التماسك الاجتماعي والعمل على حب الخير والصلاح، وهذا كلّه ببركة الدماء الزاكيات التي أُريقت في أرض الطفوف.

بالطبع آلت عواقب هؤلاء الحكام الثلاثة إلى ما لا يحمد عقباه، وصار التأريخ يلعنهم جيلاً بعد جيل، ولو كانوا يتمكنون الخروج اليوم من قبورهم ويرون ما وصلت إليه الشعائر الحسينية من عظمة وانتشار لشعروا بفشلهم الذريع والحسرة على كل خطوة خطوها في هذا الطريق.

سرمدية الشعائر الحسينية

من الواضح أنّ الحكام الذين أسرفوا في الظلم والجور ومن سار في ركابهم يتصورون بذهنيتهم الخاوية أنّهم قادرون على مواجهة الشعائر الحسينية والعمل على التقليل من بريقها ونورها الوهاج، ولكن أين البهلوي اليوم؟

فقد أُصيب في الدنيا بالعار والخزي، وفي الآخرة ساء مستقراً ومكاناً.

وأين هو ياسين الهاشمي؟ ليخرج من قبره المظلم وليرى ما يجري في العراق وإيران، وأين بلغت قوّة الشعائر في المعمورة -والذين يشاهدون القنوات الفضائية الدينية يدركون إلى حدّ ما عظمة الشعائر الحسينية، ورأوا بأمّ أعينهم مشاهد يعجز العقل عن إدراكها وتصوّرها-.

وقد نُقل لي مراراً وكراراً ما تشهده أصقاع العالم المختلفة من عظمة وهيجان في مراسيم الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فاليوم أضحت النهضة الحسينية تمثّل مشروعاً متكاملاً في كافّة الجوانب

الحياتيّة للإنسان وعلى جميع الأصعدة العقائدية والفكرية والأخلاقية، وصارت مفرداتها تتجدّد في كل زمان ومكان ولا تقتصر على بقعة معيّنة أو زمن محدّد أو شعب مَّا أو طائفة بعينها، فتجاوزت كل الأطر والحدود.

بالطبع ما نراه في أنحاء العالم لا يتناسب مع منزلة الإمام الحسين عليه السلام وإذا ما قورنت مع القابليات الموجودة على الكرة الأرضية فهي مقابلها كالعدم، ومع ذلك تبقى آيات الشكر موصولة لكل من أحيى تلك المراسيم وقدّم لها الدعم المادي والمعنوي شكر الله مساعيهم جميعاً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّني أتأسّف كثيراً على الثلّة الذين يتصورون أنّهم قادرون من خلال تربّعهم على كرسي الحكم وتسلّطهم على رقاب الناس لمدّة قصيرة في هذه الدنيا الفانية، أنّ بإمكانهم التحكم بشعائر الإمام الحسين عليه السلام والتقليل من شأنها وعظمتها وتسليط سوط عذابهم على كل من يتمسّك بها!

فقد خسر كل من كان يفكر بهذا النحو، أليس أنّ ياسين الهاشمي هو الخاسر الأكبر؟

وأليس كان البهلوي يعتقد أنّه من خلال الضرب والسجن والاعتقال والتبعيد يستطيع الوقوف أمام الشعائر والحيلولة دون إقامتها؟ ولكن شاهد الجميع عاقبته ومصيره الأسود.

لذا ينبغي أن يتعظ كل من يريد الاقتفاء بأثرهم وليرى عاقبتهم السيئة ومصيرهم الأسود الذي لاقوه.

تحمّل الصعاب في طريق الإمام الحسين عليه السلام

أمّا الرواية الثانية التي أود الإشارة إليها فهي ما ورد في كتاب كامل الزيارات تحت رقم ٣٥٧ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل

أنـه: أتـاه رجل، فقال له: يا ابن رسـول اللـه، هل يزار والـدك [أي الإمام الحسين (صلوات الله عليه)]؟

قال: فقال: نعم.

قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنة...

وقال: قلت: فما لمن قتل عنده جار عليه سلطان فقتله؟

قـال: أول قطـرة مـن دمـه يغفر لـه بهـا كل خطيئة، وتغسـل طينته التـي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصـت الأنبياء المخلصين، ويذهـب عنهـا ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسـل قلبه، ويشـرح صـدره ويملأ إيماناً فيلقـى الله وهو مخلص مـن كل ما تخالطه الأبـدان والقلـوب، ويكتـب له شـفاعة في أهل بيتـه وألف مـن إخوانه، وتولّـى الصلاة عليه الملائكـة مع جبرائيل وملك المـوت، ويؤتى بكفنه وحنوطـه مـن الجنة، ويوسّـع قبـره عليه، ويوضع لـه مصابيح فـي قبره، ويفتـح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطـرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشـر يومـاً إلى حظيرة القدس، فـلا يزال فيها مع أوليـاء الله حتى تصيبه النفحة التي لا تبقي شـيئاً، فإذا كانت النفحة الثانية وخرج من قبره كان أول مـن يصافحه رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنيـن (صلوات الله عليه) والأوصياء، ويبشرونه، ويقولون له: اِلزمنا. ويقيمونه على الحوض فيشرب منه، ويسقي من أحب.

قلـت: فما لمـن حبس في إتيانـه؟ قال: له بكل يـوم يحبس ويغتم فرحة إلى يوم القيامة، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكل ضربة حـوراء، وبكل وجـع يدخل على بدنه ألف لف حسـنة، ويمحي بها ألف ألف سـيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدّثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يُفرغ من الحسـاب، فيصافحه حملة العرش، ويقال له: سـل

ما أحببت. ويؤتى ضاربه للحساب، فلا يُسأل عن شيء، ولا يحتسب بشيء، ويؤخذ بضبعيه حتى ينتهى به إلى ملك يحبوه ويتحفه بشربة من الحميم وشربة من الغسلين، ويوضع على مقالٍ (جمع مقلاة) في النار، فيقال له: ذق بما قدّمت يداك فيما آتيت إلى هذا الذي ضربته سبباً إلى وفد الله ووفد رسوله، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنم، ويقال له: انظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقي فهل شفيت صدرك وقد اقتص لك منه؟ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه.

من وحي الحديث

عمد حكام الجور أمثال المتوكل وهارون العباسي ممّن غصبوا الخلافة بغير حقّ وادّعوا لقب أمير المؤمنين ـ اللقب الخاص بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بكل إمكانياتهم وطاقاتهم لمنع الشعائر الحسينية ومحاربتها بكل الأشكال المتاحة.

ففي عهد الإمام الصادق عليه السلام ادّعى الضحّاك خلافة المسلمين، وحكم الكوفة مدّة من الزمن، وفي النهاية قُتل على يد مروان.

وقد حارب الضحّاك شعائر الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بقسوة، وفي أحد الأيام ذهب (مؤمن الطاق) -وكان الضحّاك يدّعي الفقاهة، ولازالت فتاواه موجودة في كتب العامّة- فلما أتاه رأته الشُّراة ووثبوا في وجهه، فقال لهم: جانح.

فأخذوه إلى الضحّاك، فقال له مؤمن الطاق: أنا رجل على بصيرة من ديني، وسمعتك تصف بالعدل، فأحببت الدخول معك.

فقال الضحّاك لأصحابه: إن دخل هذا معكم نفعكم.

ثم أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك، فقال: لِمَ تبرأتم من علي بن

أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟

قال: لأنّه حكَّم في دين الله!

قال: وكل من حكَّم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه؟

قال: نعم.

قال: فأخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك عليه لأدخل معك فيه إن غلبت حجّتي حجّتك أو حجّتك حجّتي مَن يوقف المخطئ على خطئه ويحكم للمصيب بصوابه؟

فلا بد لنا من إنسان يحكم بيننا، فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه، فقال: هذا الحكم بيننا، فهو عالم بالدين.

قال مؤمن الطاق: وقد حكّمت هذا في الدين الذي جئت أناظرك فيه؟

قال الضحّاك: نعم.

فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه، فقال: إنّ هذا صاحبكم قد حكم في دين الله فشأنكم به، فضربوا الضحّاك بأسيافهم حتى سكت.

فقد نسى الضحاك دليله ودينه في مدّة قصيرة من الزمن جراء محاورة لم تتجاوز عدة جمل وكلمات، فهل أنّ من ينسى حديثه الذي تحدّث به قبل لحظات يسمّى فقيهاً وتكون فتاواه سارية المفعول يعمل بها في أوساط المجتمع الإسلامي؟!

الجدير بالذكر أنّ معاداة أهل البيت عليهم السلام خاصة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليست وليدة الزمان الحاضر، بل هي أمر مستفحل ضرب بجذوره في كل العصور التي حكم بها بنو أمية وبنو العباس وأسلافهم ومن اقتدى بهم، حيث كان الناس يودعون السجن

لتسـمية أولادهم باسم علي والأئمة الأطهار عليهم السلام واشتد الأمر في عهد الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، ولذا لا نكاد نرى في غضون تلك الفترة من الصحابة إلاّ القليل أسماؤهم بأسماء أهل البيت عليهم السلام.

وقـد ارتكب بنو أمية مأسـاة عاشـوراء بتلـك الوحشـية ليتأمّر أمثال الضحّـاك وغيره على رقاب الأمة، ويبعّد خط الحقّ والعدالة المتمثّل بخط أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) والقضاء عليه بشكل نهائي.

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ بني أمية لم يكن لهم أن يظلموا أكثر من الظلـم الذي قاموا به حيث جاوزوا كل الحدود والمقاييس في ظلمهم لأهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء، ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصاهم بظلم عترته والجور عليهم بدل مودتهم لما استطاعوا إضافة شيء على ما اقترفوه..

فقد صرّح الإمام الصادق عليه السلام أنّ الذي يسـجن في طريق الإمام الحسـين (صلوات الله عليه) له في كل يوم فرحة إلى يوم القيامة، أمّا إذا ضُرب فإنّ لكل ضربة له مقاماً وأجراً جزيلاً.

ولاشـك أنّ لهذه الصعاب والمحن مراتب، فمن يصفع في طريق سـيد الشـهداء عليه السلام أربع صفعات منزلته وقربه الإلهي أكثر ممّن يصفع في هذا الطريق ثلاث صفعات، وهكذا...

الملفـت للانتبـاه أنّ الإمام الصادق عليه السلام من بعـد «الضرب» عبّر بـ«الوجع» ما يعني أنّ الذي يسجن في طريق الإمام الحسين عليه السلام قد لا يقتصر ما يتعرّض له على الضرب، بل تكون هناك تبعات وآثار أخرى.

وهنـا يعيّـن الإمـام عليه السلام أجراً وثوابـاً خاصاً لكل حالـة من الألم والوجـع التي يتعـرّض لها محيـي قضايا الإمام الحسـين (صلـوات الله عليـه)، فقـال عليه السلام: «فإذا كانـت النفحة الثانية وخرج مـن قبره كان أول

مـن يصافحـه رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم وأميـر المؤمنين (صلـوات اللـه عليه) والأوصياء»، فهل يا ترى هناك منزلة أرفع وأسمى من ذلك؟!

لنسعِد قلب الزهراء عليها السلام

ومن ضمن ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: «أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة»؟

ومنـه يظهـر أنّ هنـاك مسـؤولية عظيمة تقـع على عاتـق الجميع، وهي المشـاركة الفعّالة في إقامة الشعائر والمآتم الحسينية وإحيائها بكل الأشـكال وعـدم التفريـط بهـا، إذ أنّها تدخل السـرور على قلب السـيدة الزهراء عليها السلام.

ومـن المؤكد أنّ خدمة القضيّة الحسـينية تدخل السـرور والغبطة على قلوب كل المعصومين الأربعة عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

رمز مصائب الإمام الحسين عليه السلام

وفـي هذا المقام يطرح سـؤال، وهو: لمـاذا تعتبر السـيدة الزهراء عليها السلام الرمز لمصائب الإمام الحسين (صلوات الله عليه)؟

إنّ فاطمـة الزهـراء عليها السلام -وهـي الصديقة الكبرى والشـفيعة في يوم الجـزاء وأُمّ الحجج والوجيهة عند الله عزّ وجلّ- هي صاحبة العزاء والمفجوعة بولدها.

وهـذا المعنى يتجلّى بأحسـن صوره عندما جاء شـاعر أهل البيت عليهم السلام دعبـل الخزاعـي في محضـر الإمام الرضا عليه السلام، فقـال له الإمام: مرحباً بناصرنا بيده ولسانه.

بعد ذلك بدأ دعبل بقراءة المراثي والمصيبة باسم صاحبة العزاء، فقال:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذًا للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين بالوجنات

فلم يبدأ دعبل -الشاعر الموالي والمحب لأهل البيت عليهم السلام- قصيدته العصماء بتقديم التعازي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنّما خاطب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، باعتبارها صاحبة العزاء، وقد كان الإمام الرضا (صلوات الله عليه) يستمع ويبكي لذلك الخطاب، لذا ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة؟».

وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية

ينبغي للأخوة والأخوات السعي الحثيث بكل وسعهم كي يسعدوا الصدّيقة الزهراء عليها السلام في إحياء مصاب ولدها الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وأن يكونوا مصداقاً واضحاً لحديث الإمام الصادق عليه السلام: «أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة»؟

لذا لابد من العمل بجدّية وإخلاص أكبر من ذي قبل والتواصل مع القضية العاشورائية بكل أبعادها وجوانبها، وأن نقدّم المزيد من العطاء والتضحيات، ومهما بذلنا من أموال وأقمنا المراسيم وشاركنا في الشعائر لابد من الحرص على مضاعفة الجهود وبذل المزيد من الهمم في هذا الطريق.

بطبيعة الحال، كل من يتعرّض للسجن أو الاعتقال أو الاهانة أو الضرب والشتم من أجل مبادئ الإمام الحسين عليه السلام يكون ذلك سبباً

لعلوّه ورفعته ونيل المقام السامي، بل ينبغي للإنسان أن يفرح لو مكث في السجن طويلاً لأنّ ذلك يزيد من عذاب الظالم وأجر المظلوم.

وكما ينبغي أن لانقف في صف بني أمية ونرضى بما قاموا به من أفعال شنيعة يندى لها جبين الإنسانية، كذلك ينبغي أن لا نتخذ موقف اللامبالاة بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطيبين الطاهرين في يوم عاشوراء، إذ أنّ ذلك يساوي حالة الخذلان والخسران.

ففي يوم عاشوراء لمّا هجم الأعداء على مخيّم الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وأحرقوا خيامه، وقع نظر رجل من معسكر بني سعد على يتيمة من أطفال الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فزعة فارّة من الأعداء والنار مشتعلة في أذيالها، فرقّ قلبه لها ودنا منها وهمّ بإطفاء النار، فخافت اليتيمة منه، وقالت له: «أنت لنا أم علينا؟» فقال: «لا لكم ولا عليكم».

لذا يجب علينا الحيطة والحذر من الوقوع في شباك عدم الاكتراث والاهتمام بالشعائر الحسينية وعزاء الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فإنّ ذلك يعني الخذلان والخسران الأكبر، وقد لعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاذلي الحقّ ممّن لا يحركون ساكناً لنصرته ولم يدافعوا عن قضية الإمام الحسين عليه السلام، وهناك روايات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يلعن فيها كل من لا يكترث ولا يبالي بالمظلومية العظيمة التي تعرّض لها الإمام الحسين (صلوات الله عليه).

نصرة الإعلام الحسيني

من المناسب أن يمدّ الجميع يد العون والمساعدة إلى القنوات الفضائية التي تسعى إلى نصرة القضية الحسينية وقضايا أهل البيت عليهم السلام، وعدم التقاعس في نصرتها بالمال واللسان والكلمة الطيبة. نعم،

ظروف الأفراد تختلف من واحد إلى آخر، فالبعض غير قادر على دعمها بالمال ولكنه من خلال وجاهته أو لسانه يستطيع التوسّط لحفظ وبقاء الشعائر الحسينية، ولابد من تظافر جهود الجميع وتجيير كل الإمكانات والطاقات لجعل بقاع المعمورة كلّها حسينية والناس الذين يعيشون عليها حسينيون، ليتمتّع العالم بأسره بنعمة الهداية والرحمة الحسينية ونيل السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة، ولنكون من مصاديق من قال فيهم الإمام الصادق عليه السلام: «أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة؟».

وبالرغم أنّ الدنيا اليوم تعجّ بالشعائر الحسينية إلاّ أنّها لم تصل إلى المستوى المطلوب، فلو أُقيمت الشعائر في كل شبر من العالم تظل دون المستوى المطلوب أيضاً؛ لأنّ الكرة الأرضية ليس لها القابلية والاستعداد كي تؤدّي حقّ الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ولو بشكل يسير.

وعلينا التيقّن في جميع الأحوال أنّ ظلم مقيمي عزاء سيد الشهداء (صلوات الله عليه) عاقبته المخزية في هذه الدنيا فضلاً عن عذاب الآخرة، وينبغي للثلّة الصالحة التي أصابها الأذى من السجن والضرب والإهانة في سبيل الشعائر الحسينية أن لا يشعروا بالحزن والألم، بل عليهم أن يفرحوا بما أصابهم؛ لأنّ ذلك توفيقاً وسعادة قد نالوها والله -عزّ وجلّ- وحده هو العالم بمقامهم وأجرهم، فأيّ ثواب عظيم وأيّ قربة ومنزلة سيحظون بها؟.

عالمية الشعائر الحسينية

شاءت إرداة الرب أن تكون عاشوراء قضية عالمية وأن يكون الحسينيون هم الفائزون بالجنان والنعيم الأبدي، وأعداؤهم والمتخاذلون في السعير وبئس المصير، قال تعالى: «فريق في الجنة،

وفريق في السعير»[١].

لذا فإنّي أدعو الجميع خاصة الشباب أن يعملوا بكل ما أوتوا من قوّة ونشاط لترويج القضية الحسينية وتجنّب حالات اللامبالاة، وإذا لم يملك الإنسان الاستطاعة المالية عليه أن يبذل ماء وجهه وكرامته لأجل سيد الشهداء (صلوات الله عليه)، ومن ذلك مساعدة القنوات الشيعية الحسينية وتقويتها بكل الأشكال، وإقامة مجالس الحسين عليه السلام والحفاظ عليها حيّة وتوسعتها عالمياً.

تحمّل الصعاب والمعضلات

زارني مجموعة من الأخوة الحسينيين وكانوا يجمعون التبرّعات لبناء حسينية في إحدى المناطق وكان أحدهم محبطاً جداً وقد بدت عليه علامات الانزعاج، فقال: ذهبنا إلى أحد المتمكنين مادياً وطلبنا منه أن يساهم في بناء الحسينية، فواجهنا بجواب جعلنا نشعر بخيبة أمل حتى عزمنا على ترك الموضوع.

فقلت له: هل بصق بوجهك؟

فقال: لا.

قلت: تعرّض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أشرف الأولين والآخرين لهذه الجسارة من كفار قريش، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم صبر وتحمّل ولم يترك تبليغ الرسالة السماوية.

لذلك إذا تعرضت يوماً إلى هذا العمل، امسح وجهك واشكر الله سبحانه وتعالى وافرح كثيراً لأنّك نلت أجراً وثواباً عظيماً.

---

(١) سورة الشورى، الآية٧.

ثم قلت له: هل تعرّضت إلى الضرب والشتم؟

قال: لا.

قلت: وهل ضربوك على وجهك ورأسك؟

قال: لا.

قلت: تعرّض رسول الله ﷺ الذي هو أسوة ومَثَل أعلى لي ولك ولجميع الناس في هذا الطريق لذلك، لذا يجب علينا أن نقتدي به ﷺ كما أمرنا الباري -عزّ وجلّ- في محكم كتابه العزيز، فقال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1]، وأن نتحمّل ونستقيم ونصبر ونقدّم التضحيات.

فقد تعرّض الرسول الأكرم ﷺ حين وضعه اللبنات الأولى لهذا الدين لكل تلك المواقف، ولكنّه صبر وتحمّل واستقام من أجل إعلاء كلمة الله وبقاء الرسالة والدين، لذا علينا نتعلّم منه ﷺ كيفية الجهاد والكفاح والثبات في قبال المشاكل مهما كانت شدتها وقوتها وعدم التراجع شبراً واحداً ولحظة ما، وعلينا أن لا نتراجع ونستسلم.

ولاشك أنّ هذه الوقاحة والجسارة التي يتعرّض لها حملة القضية الحسينية ولوائها في هذا الطريق هي ليست إهانة تحطّ من قيمة وشخصية الشخص بل هي كرامة له وعزّة ما بعدها عزّة.

عظمة الشعائر الحسينية

لقد عمل الظالمون بكل ما يملكون من قوّة على مرّ العصور للوقوف ضدّ الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وشعائره، ولكن ماهي

(١) سورة الأحزاب، الآية٢١.

ثمرة عملهم؟

وأين وصلت تلك المساعي والجهود المضنية التي بذلوها؟

فعلى سبيل المثال، ارتكب الطاغية صدام مختلف المجازر والأعمال الوحشية لمنع الشعائر الحسينية وزيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصة زيارة الأربعين، ولكن ما هي عاقبة تلك المراسيم والشعائر الحسينية وزيارة الإمام في الوقت الحاضر؟

نُقل أنّ الكثير من الزوّار تقاطروا من مختلف أنحاء العالم لزيارة الأربعين في العام المنصرم في صورة ولائية رائعة تعكس عمق الحب والوفاء والولاء للإمام الحسين (صلوات الله عليه).

وكما عن البعض: أنّ الكثير نووا المشي من أوروبا إلى كربلاء المقدّسة هذه السنة. بالطبع هذا توفيق وشرف عظيم لهم.

ولايخفى أنّ مقام الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الشامخ لايتضرّر من فعل الأعداء، وعدم مبالاة القلّة القليلة من الناس يسوقهم إلى الضرر وخسارة كل شيء، وسينالون وبال أذاهم في نار جهنم كما أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك وصرح القرآن الكريم بقوله: ﴿**يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**﴾[1].

ولذا فإنّ مسؤولية الجميع هي: أن نجعل رضا الصديقة الزهراء عليها السلام وإدخال السرور على قلبها الغاية العظمى وراء أعمالنا في الحياة، وأن نفكر دوماً بهذا المقياس ونعمل على زيادته.

(١) سورة إبراهيم، الآية١٧.

موضوعان أساسيان

مـن الضـروري بمكان أن ترتكز الشـعائر الحسـينية على دعامتين رئيسيتين:

الأولى: التركيز على وسائل الإعلام.

الثانية: دعم هذه الوسائل بكل متطلبات النجاح.

يُنقل أنّ أكثر من عشر قنوات فضائية نقلت شعيرة (عزاء طويريج) بشـكل مباشـر، ذلك العزاء الذي نُقل عن العلاّمة بحـرم العلوم رَحِمَهُ اللهُ أنّه رأى الإمام صاحب العصر والزمان (أرواحنا لمقدمه الفداء) يشـارك فيه مع الجموع العظيمة ويلطم على رأسه وصدره.

وقد استمر العزاء هذه السنة مدّة أربع ساعات متواصلة، وبلغ عدد المشاركين فيه أكثر من ثلاثة ملايين وفيهم مرجع التقليد وأستاذ الجامعة والدكتور والمهندس والعامل والفقير والغني وغيرهم.

ومع الأسـف الشـديد مثـل هذا العـزاء العظيم تغافلت عنـه القنوات الفضائية العالمية الأخرى بشـكل متعمّد، بينما تسلّط الأضواء على أحداث بسيطة مثل مشاجرة بين بعض الأشخاص أو إحدى المسابقات الرياضية.

ونقـول بقاطعيـة تامّـة: إنّ كل من يكـن الحقد والضغينة للشـعائر الحسـينية فهـو الخاسـر الأول والأخيـر فـي هـذا الصـراع، حتـى الذين يظهـرون حالـة اللامبـالاة وعـدم الاهتمـام بهـذا الموضوع فسـيصابون بالانزواء والنسـيان ولعنة التأريخ والأمم، فقد اتفقت إرادة الجبابرة على طمس معالم الشـعائر الوضاءة كما هو الحال لبني أمية وبني مروان وبني العباس والبهلوي وياسـين وصدام وأمثالهـم، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

فقد صاروا رهائن لأعمالهم المتهوّرة يعيشون حالة من العذاب الشديد جرّاء عداوتهم ومحاربتهم لشعائر الإمام الحسين عليه السلام، بينما ظلت القضية الحسينية حيّة فعالة تسري في عروق الإنسانية وضميرها.

واليوم نشاهد أنّ الوسائل الإعلامية ـ المرئية والمسموعة– للأعداء وُظِّفت بجميع إمكانياتها وطاقاتها لترويج الثقافة الأموية والحيلولة دون اتساع نطاق الشعائر الحسينية ومبادئها وأهدافها، وذلك بدعم ممّن يسمّون أنفسهم بالعلماء والوعّاظ والمثقفين من ذوي العقائد والأفكار المنحرفة.

فلماذا لا نستفيد من الإمكانات المتاحة، ونوظفها لإيصال الحقيقة ونشر ظلامة سيد الشهداء عليه السلام؟

فمن الضروري جداً أن نستفيد من التطور الإعلامي والتقنية والتكنولوجيا الحديثة التي أخذت تنتشر في كل مكان وأصبح العالم على ضوئها مدينة واحدة، وأن نوصل الثقافة العاشورائية عبر اللغات العالمية الحيّة إلى البشرية جمعاء أينما كانت ومهما كان فكرها ومشربها.

وعلينا أن نضع في الحسبان أنّ وسائل الإعلام تمثّل نصف القضية، أمّا تقديم الدعم فهو المكمّل لها والأكثر حيوية وتأثيراً.

دعم الشباب للشعائر الحسينية

خلاصة القول: إنّ ترويج الشعائر الحسينية عبر وسائل الإعلام المختلفة يحتاج إلى دعم جميع فئات وشرائح المجتمع خاصة الشباب الذين يعتمد عليهم في عملية البناء والتغيير والإصلاح، وكلما كان الدعم أكثر وأوسع نطاقاً كلما ازدادت الشعائر وانتشرت في بقاع المعمورة، وهو غير بعيد المنال لو توفّرت العزيمة والهمّة والإرادة لدى الجميع،

وسوف يتحقق بإذن الله -عزّ وجلّ-.

فلابـدّ أن يسـعى الجميـع فـي هـذا الجانـب لكـي نُسـعد ونُفرح السـيدة الزهراء عليها السلام وبقيـة المعصومين الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسـلام)، ولنعلم أنّ السـعادة في الدنيا والآخرة رهينـة إنزال هذا الأمر علـى أرض الواقع، وكلما كانت الخدمة والدعـم والإخلاص أكثر كلما كان الأجر والثواب أعظم.

نسأل الباري -عزّ وجلّ- ببركة سيد الشهداء (صلوات الله عليه)، وبحق تلك الشـهقة التي تشـهقها السيدة الزهراء عليها السلام أن يجعلنا جميعاً من الساعين لخدمة القضية الحسينية بكل أبعادها، وأن يزيد من توفيقات وتسـديدات الأخـوة المؤمنيـن والمؤمنات فـي هذا الطريق إن شـاء الله تعالى.

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

٢

التمسك بقضايا الإمام الحسين عليه السلام

التمسّك بقضايا الإمام الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين[1].

من حديث للإمام الحسين عليه السلام عندما نزل أرض كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرم الحرام سنة ٦١ للهجرة، قال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لَعِقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معائشهم».

رأس كل خطيئة

لاشك أنّ كلمة (الناس) في كلام الإمام (صلوات الله عليه) تشمل الناس جميعاً، ولا يمكن استثناء أحد منهم إلاّ المعصومين عليهم السلام الذين طهّرهم الله ومنحهم مقام العصمة والولاية، فمن الطبائع التي جُبل عليها الناس هي المسير على خلاف ما فُطِروا عليه، وهذه القضية

(١) الكلمة التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله الوارف) في جمع كبير من العلماء الأعلام والسادة الفضلاء والأخوة المبلغين وطلبة العلوم الدينية، وذلك بمناسبة قرب حلول شهر محرم الحرام لسنة ١٤٣٢.

يؤيدها الواقع الخارجي، فحب الدنيا والتعلّق بملذاتها وشهواتها حال معظم الناس إلاّ ما استثني منهم وهم بالطبع قلّة قليلة.

فمن عادة الإنسان في الدنيا أن يعيش حالة الصراع مع النفس من جانب ومع نوازع الشيطان من جانب آخر، ما يؤدّي به في الكثير من الأحيان إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم والجادة القويمة؛ ويجعله يسقط في شراك الكفر والفساد وارتكاب المحرمات وعبادة غير الله -سبحانه وتعالى-.

يقول الباري -عزّ وجلّ- في محكم كتابه العزيز: (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء)، فإنّ أمثال هؤلاء عندما يتحدثون عن الدين ومبادئه وتعاليمه فإنّهم لا يبغون من وراء ذلك مرضاة الله، وإنّما يتحدثون من منطق مصالحهم الدنيوية ومنافعهم الشخصية الضيقة، فهم يتخذون الدين وسيلة وغاية قصوى لتحصيل المكاسب الدنيوية ليس إلاّ، ولما يشعرون أنّ حياتهم في ظل الدين في خطر سرعان ما ينقلبون ويتركون الدين ولا يتورّعون عن ارتكاب المحرمات والجرائم التي تندى لها جبين الإنسانية.

ومن يقلّب صفحات التاريخ يرى كيف كان معاوية وابنه يزيد وعمر بن سعد ومن لفّ لفّهم يتكلمون باسم الدين ويحاولون بشتى الطرق الملتوية إفهام الأمة على أنهم أولى الناس بالشريعة، ولكن لما شعروا أنّ مصالحهم الدنيوية ضربت بالصميم ولا يمكن أن تصمد أمام الحقّ وتداعياته لم يتهاونوا في ارتكاب أبشع الجرائم والمحرمات، ومنها الجريمة النكراء التي ستبقى تلاحقهم مدى الدهور والعصور وهي قتلهم لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين بن علي (صلوات الله عليه) وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين. فقد ارتكبت في

واقعة كربلاء جرائم بشعة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً منها أمر ابن سعد (عليه لعنات الله) جنوده عندما قال: يا خيل الله اركبي.

فهل هذه الأفعال تمتّ للدين بصلة؟

كلا، وألف كلا.

معنى الدنيا

إنّ اسم الدنيا ينبئ عن معناها، فهي تدل على الدنو في قبال الرفعة والعلو، وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله يزيد بن سلام: لم سُمّيت الدنيا دنيا؟

قال: لأنّ الدنيا دنِيَّة خلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم يفنَ أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة.

قال: فأخبرني لم سمّيت الآخرة آخرة؟

قال: لأنّها متأخرة تجيء من بعد الدنيا، لا تُوصَف سنينها، ولا تُحصَى أيامها، ولا يموت سكانها[1].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إنّما الدنيا دنيا لأنها أدنى من كل شيء، وسمّيت الآخرة آخرة لأنّ فيها الجزاء والثواب[2].

وقد بيّن سيد الشهداء عليه السلام أنّ هؤلاء الناس اتخذوا الدين وسيلة لنيل مكاسبهم، فشبّه الدين عندهم بمن يتذوّق أو يلعق شيئاً حلواً فإنّ أثره في الفم لا يتجاوز الدقائق المعدودة ثم يزول. نعم، هذا حال

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص، ٨٩٠.
(٢). علل الشرائع، ج١، ٢.

عبيـد الدنيا فهم يتظاهـرون بالتديّن ويلتزمون به مـا دام يحقّق أغراضهم ومنافعهم الشـخصية فيلعقون منه كلمـا دعت المصلحة لذلك، ولكن ما إن ينزل البلاء يقلّ الديَّانون.

بالطبع البلاء يكون في الحسـن والقبيح، فقد صرّح أهل اللغة أنّ: «بلـوت الرجل بلـواً وبلاءً ابتليتـه، أي: اختبرته، وابتلاه اللـه: (امتحنه)، والبلاء يكون في الخير والشر، ولا ينحصر بواحدة منهما».

وعن العلاّمة المجلسـي (قدس سره الشـريف) أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمـا وصل إلى كربلاء كان معه ما يقارب (١٥٠٠) يقتدون بصلاته وكانوا يحيطونه بهالة من القداسة والعظمة، ولكنهم لم يتحملوا الاختبار الصعـب والتمحيـص، فمـا إن رأوا الظروف قد مالت لكفّة معسـكر ابن زياد حتى تركوا الإمام وتفرّقوا عنه، ولم يبقَ معه إلاّ القلّة القليلة والصفوة الطاهـرة، علماً أنّ نفس هـؤلاء القوم عندما شـاهدوا الإمام عليه السلام غريباً وحيداً لا ناصر له ولا معين في واقعة الطف الأليمة كانوا يبكون.

مسؤولياتنا قبال القضية الحسينية

إننا على أعتاب شـهري محرم الحرام وصفر المظفّر ولا بُدَّ لنا من تحشيد كل طاقاتنا وإمكانياتنا لإحياء القضية الحسينية، ولنتضرع إلى الله -تبارك وتعالى- ونتوسـل بأهل البيت (صلوات الله عليهم) كي يعينوننا في هذا الامتحان لنخرج منه برؤوس مرفوعة.

بالطبع، الأمر يحتاج إلى عزيمة راسـخة، وإرادة قوية، وتضحيات جسام.

ومن يسـتقرئ التاريخ يجـد أنّ الكثير من المؤمنيـن تعرضوا لهذا الاختبـار العسـير في زمن بنـي أمية وبنـي العباس وبني عثمـان وغيرهم

من الحكام والملوك المنحرفين، فقدّموا التضحيات تلو التضحيات في سبيل نصرة أهل البيت عليهم السلام وإعلاء القضية الحسينية، فتركوا الأهل وهجروا أوطانهم وتغرّبوا في البلدان ردحاً طويلاً من الزمن بحيث إنّ بعضهم قضى نحبه فيها.

ففي أحوال عطية العوفي -الذي كان عالماً ومفسراً للقرآن الكريم وصاحب الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري- ورد: أنه تعرّض للمحن والابتلاءات لنقله روايات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهرب إلى مدينة فارس، فكتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عامله فيها محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ الإمام علي عليه السلام فإن لم يفعل فيضربه أربعمائة سوط ويحلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ، فأمضى حكم الحجاج فيه، ثم خرج إلى خراسان فلم يزل بها حتى ولي عمر بن هبيرة العراق فقدمها، فلم يزل بها إلى أن توفّي سنة ١١٠هـ.

وكم من أمثال عطية تمّ امتحانهم وابتلوا ونجحوا في هذا الامتحان؟

ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ أهل البيت (صلوات الله عليهم) هم المَلاَك والمعيار في كل الأمور، وممّا يعين الإنسان في مواقف الامتحان هو الامتثال لأقوالهم وأفعالهم وعدم التقدّم أو التأخّر عنهم، فإنّ المتقدّم عليهم مارق والمتأخّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق.

والمراد بالمتجاوز لأهل البيت عليهم السلام الذي يتنكر لولايتهم وإمامتهم ويتعدّى على حقوقهم ويدعو لمنابذتهم ومخالفتهم، فهو بحكم المارق الذي لم ينتفع بإسلامه شيئاً.

والمراد بالمتأخر عنهم زاهق: بيان حال الذين لا يدينون بولاية أهل البيت عليهم السلام ولا يقرون بإمامتهم ولا يهتدون بهديهم ولا يعتقدون

بقولهـم ولا يؤدّون حقوقهم التي فرضها الله تعالى لهم، فمن كان كذلك كان زاهقاً أي كان هالكاً.

أمّـا قولـه: اللازم لهـم لاحـق: أي أنّ الملتزم بولايتهـم وطاعتهم مـدرك للنجـاة لاحـق بركبهم، ومن كان فـي ركبهم كان مـن الناجين في الدنيـا والآخرة، لذا ينبغى لنا أن نقتدي بسـيرة أهـل البيت (صلوات الله عليهم) ونجعلهم فصـل الخطاب ومفصلاً للصواب والحد الفاصل بين الحق والباطل.

ولا يخامر أحد الشـك أنّ الكثير من السـلف الصالح التزموا بهذا الطريـق ونصـروا الحق والحقيقـة ولم يصبهم تعب ولا نصَب، كالشـيخ المفيـد قدس سره الـذي وصفـه صاحب العصـر والزمـان (أرواحنـا لمقدمه الفداء) في توقيعه الشريف: الناصر للحق والداعي إليه.

الارتباط الوثيق بالشعائر الحسينية

الشـعيرة هـي مفردة الشـعائر أي: العلامة، والمراد بها ليسـت كل علامـة بل العلامة الدالة إلى الطريق، فإنّ كل عبادة داخلة في هذا الإطار تعد من الشعائر الالهية، فالحج مثلاً بكل طقوسه من شعائر الدين؛ إلاّ أنّ القرآن الكريم جعل البُدن من الشعائر، قال تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾[1] مع أن أهميتها أقل بكثير من بقية أعمال الحج.

ولا يخفى أنّ الشاة وبقية والأنعام الأخرى أو المكان ليس له قيمة في نفسه، ولكن لأنّ الباري -عزّ وجلّ- طلب ذلك لا بُدَّ للحاج أن يقدّم أضحيـة، وكذا الوقوف في عرفات حيث أصبح من شـعائر الله، فهي لما دخلـت في المصداقية العرفية جعلت من الشـعائر وإن لم يذكرها القرآن

(١) سورة الحج، الآية ٣٦.

الكريـم، لأنّ القـرآن اقتصر على ذكر الكبرى بقوله تعالـى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1].

ومن مصاديق الشعائر الإلهية البارزة هي إقامة مراسيم سيد الشهداء عليه السلام، فقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد بشكل قاطع على أنّ جميع الشـعائر الحسـينية هي من شـعائر الله، وهذا أمر لا يرتاب فيـه عالـم أو فقيه ولو أُوتـي من العلم قليـلاً، فإنّ الله -عـزّ وجلّ- حبى الإمام الحسـين عليه السلام بخصائص لم يعطها لسـائر المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن ذلك أنّه - تعالى- كتب على عرشه منذ الأزل وقبل أن يخلق الخلق: «إنّ الحسين مصباح هدى، وسفينة نجاة».

زيارة الإمام الحسين عليه السلام مع الخوف

ورد فـي الأخبـار والمصـادر أنّ زيـارة الإمام الحسـين عليه السلام في الأزمنة السابقة -كزمن الطاغية الحجاج وهارون والمتوكل- صارت من مصاديق إلقاء النفس في التهلكة وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[2]، ومع ذلك كان أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) يحثّون الناس على زيارة سـيد الشـهداء عليه السلام والاهتمام بها غاية الأهمية، فكان أكثر الزائرين آنذاك يتعرضون إلى أشد أنواع التعذيب والموت أحياناً في غياهـب السـجون من قبل أزلام المتوكل العباسـي. وقـد تابعهم العلماء الأعـلام في ذلـك، فقد أوجـب العلاّمة المجلسـي ووالده زيـارة الإمام الحسـين عليه السلام فـي العمـر مرة، وفـي حاشـية العلاّمة الأمينـي (رضوان اللـه عليـه) على كتاب (كامل الزيارات): «أنّ المسـافر إلـى زيارة الإمام

(١) سورة الحج، الآية ٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية، ١٩٥.

الحسين عليه السلام إذا تيقّن بأنه سيُقتَل، فسفره جائز»، ونقل الشيخ خضر -صاحب السرّ، والذي كان من تلاميذ العلاّمة بحر العلوم- عن العديد من الفقهاء قولهم: إذا حصل لدى زائر الإمام الحسين عليه السلام اليقين بأنه سيُقتَل في سفره، فإنّ سفره جائز ولا إشكال فيه.

وهناك شواهد تاريخية كثيرة تدل على حرص أهل البيت عليهم السلام على أن لا يلقي الإنسان نفسه في التهلكة، ففي أحد السنوات أعلن المنصور الدوانيقي أنّ اليوم هو عيد الفطر، فأفطر الإمام الصادق عليه السلام في ذلك اليوم، وعندما سُئل: يا بن رسول الله، هل أنّ اليوم هو عيد؟ فقال عليه السلام: لا. فقال له السائل: لِمَ أفطرت؟ فقال الإمام عليه السلام: لئن أفطر يوماً من شهر رمضان أحب إليّ من أن يضرب عنقي.

على كلٍّ، إنّ قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ لفظ عام، استُثنِيَت منه بعض الموارد، منها: الجهاد في سبيل الله والسفر لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

بطبيعة الحال، إنّ كل فعل يعتبره العُرف شعيرة من الشعائر الحسينية فهو شعائر الله، ولا يحتاج الأمر إلى مراجعة الفقهاء والسؤال منهم بأنه مستحب أم لا، لأنّ الموضوع صار من شعائر الله عُرفاً فيترتّب عليه الاستحباب.

الحذر من مكائد الأعداء

لابد للإنسان الفَطِن أن لاينخدع بأقوال من يتكلمون باسم الدين ويسعون عبر كلامهم المنمَّق إلى سَوق المجتمع باتجاه رياح التضليل، فإنّ الكثير من المواضيع التي كان يتطرق إليها معاوية لا تختلف من حيث المضمون عن المضامين التي كان يدعوا إليها الإمام علي بن أبي

طالب عليه السلام وكذلك الحَجَّاج، فعندما كان يتكلم عن التقوى تتخضب لحيته بالبكاء ويُبكي الناس.

الملفت للانتباه أنّ الأعداء ممّن أقسموا واتحدوا على محاربة أهل البيت عليهم السلام خاصة القضية الحسينية يستخدمون أساليب وآليات أكثر دهاءً فيسعون بشتى الطرق إلى زعزعة عقائد الأمة الإسلامية من خلال بث الشبهات والشكوك، فعلى سبيل المثال لا الحصر فإنّهم يروجون لمقولة وهي: «أنه لم يكن هناك أيّ حرب بين بني أميّة والإمام الحسين عليه السلام بل كان بينهما اختلاف بسيط»، متوخين في ذلك القضاء على نهضة سيد الشهداء عليه السلام والأهداف السامية التي خرج من أجلها، فهل يا تُرى أنّ هذا الرأي ينسجم ويتلاءم مع ماقاله الإمام الحسين (صلوات الله عليه) حين خروجه من المدينة حيث قال: «وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، وأن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي»؟!

مثل هذه الكلمات هي مشاعل تضيء الطريق لكل السالكين، ومن خلالها حدّد سيد الشهداء عليه السلام أهداف ثورته العظيمة، وهي أنه لم يخرج طمعاً لمنصب أو عن انحراف بل أراد الإصلاح في مجتمع نخرته أنواع الفساد والمظالم وجعلته يعيش في متاهات وظلمات وأضحى دين جدّه بأيدي حكام يعبثون به، فكان الأمر يتطلّب التضحية والإقدام، فكانت ثورته عليه السلام منعطفاً تاريخياً يعيد للأمة مسارها الصحيح.

بل أراد الإمام الحسين عليه السلام بنهضته وثورته بسط أركان العدالة وأن يكون الحكم على أساس حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وأمّا معاوية وابنه يزيد ومن حذا حذوهم من الحكام فقد لزموا طاعة الشيطان وتركوا

طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله فقدّموا صوراً مغايرة عمّا جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فعملوا بسياسة البطش والتنكيل والتغييب والظلم وتزوير الحقائق من أجل الاستمرار في حكمهم والحفاظ على عروشهم.

ويشهد لذلك أنّ وعاظ السلاطين والمتملقين عملوا على تسمية المتوكل العباسي -الذي كان مولعاً بشرب الخمر والغناء واللهو والطرب ولا يخلو مجلس الخلافة ليلة من تلك الفظائع والفجائع- بـ(محيي السنة ومميت البدعة)، وهناك الكثير من الشواهد التاريخية الدالة على فساد هذا الرجل منها دعوته للإمام الهادي عليه السلام لتناول الخمر، وصرفه ما يقارب ٣١ مليون درهم من بيت مال المسلمين في مراسم ختن ابنه المعتز!.

ومن المؤسف حقاً أن نجد أشخاصاً أمثال ابن العربي يطلق في كتابه (الفتوحات) لقب «أمير المؤمنين» على ذلك الفاجر[1].

ومن الوقاحة أيضاً أنّ الكثير من القنوات الفضائية تصف المتوكل بأنه أحد مراجع الدين الذين يمكن للمسلم أن يأخذ دينه منهم. وهناك المئات من فتاوى هذا الرجل ذكرت في كتاب (البحر الزخّار في مذاهب علماء الأمصار).

(١) لقي المتوكل جزاء عدائه لآل البيت الطاهرين وقتلهم وشيعتهم ومحبيهم، فلم يمض وقت حتى لقي مصرعه في ثالث أيام عيد الفطر عام ٢٤٧ هـ وهو في لهوه وشرابه بين ندمائه ومغنياته وعلى يد أقرب الناس إليه ولده «المنتصر بالله». قال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) ٦: ١٠٩: فكان من الأسباب (يعني سب فاطمة عليها السلام) التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل.
وجاء في رواية ابن الأثير: أن المتوكل شرب في الليلة التي قتل فيها أربعة عشر رطلاً وهو مستمر في لهوه وسروره إلى الليل بين الندماء والمغنين والجواري.

مسؤولية العلماء الأعلام تجاه القضية الحسينية

لاشك أنّ علماء الدين وتلامذة الإمام الصادق عليه السلام تقع على عاتقهم مسؤوليات كثيرة منها توضيح الحقائق لعموم الناس وتعريف العباد بواجباتهم... ومنها دعوة العباد إلى التمسّك بالقضية الحسينية بكل أبعادها وأشكالها والعمل قبالها ضمن دائرة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حيث قال: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وينبغي لكل واحد منّا توخّي الحذر كي لا يصبح كالذين خذلوا القضية الحسينية ولم يكترثوا بها فضلاً عن القيام بعرقلتها، فإنّ ذلك يوجب الخذلان والخسران المبين في الدنيا والآخرة.

بطبيعة الحال، فإنّ شهري محرم الحرام وصفر المظفّر فرصة طيبة كي نبدأ من جديد بتحمل مسؤولياتنا لإيصال صوت الإمام الحسين وتراث أهل البيت عليهم السلام وكلماتهم وسيرتهم الناصعة وأن نوجه الناس إليهم، وفي الواقع أنّ كل ما نملك من مُثل وقيم ومبادئ وحياة كريمة فهي من بركات تضحيات سيد الشهداء عليه السلام، فذكرى عاشوراء هي التي غرست في أعماقنا العبودية لله -عزّ وجلّ- وإحياء مبادئ الإنسانية والإيثار وخدمة الآخرين والعطف على الضعفاء والدفاع عن المحرومين، ولذا يجب علينا أن نحافظ على جذوة عاشوراء متقدّمة على الدوام وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا.

كما أنّ شهري محرم الحرام وصفر فرصة سانحة للعمل بكل جد لفضح مؤامرات أعداء أهل البيت عليهم السلام، فإذا تحقّق هذا الأمر على أرض الواقع كما يجب نكون قد أتممنا الحجّة على الآخرين، فمن أراد الحياة الخالدة والأبدية يتّبع أهل البيت عليهم السلام ومن أراد السقوط والانحدار

والخسران المبين يبتعد عنهم.

أسـال الله -عـزّ وجلّ- أن يجعلنـا من الناصرين للإمام الحسـين عليه السلام وشـعائره المقدسـة، ويوفـق الجميـع لخدمـة أهـل البيت عليهم السلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

.

المحتويات

مقدمة الناشر..... ٣
عالمية القضية الحسينية ٧
مقدمة ٩
من مآسي عاشوراء ١١
أسباب تغيّر حال الإمام عليه السلام ١٣
حزن لا ينتهي ١٤
تأثّر عوالم الخلقة ١٥
تأثّر نار جهنم ١٥
تأثّر البحار والمحيطات ١٦
تأثّر الأرض ١٧
عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ١٧
عاشوراء في زمن الظهور ١٨
محاربة الشعائر الحسينية ١٩
سرمدية الشعائر الحسينية..... ٢١
تحمّل الصعاب في طريق الإمام الحسين عليه السلام ٢٢
من وحي الحديث..... ٢٤

لنسعِد قلب الزهراء عليها السلام ٢٧
رمز مصائب الإمام الحسين عليه السلام ٢٧
وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية ٢٨
نصرة الإعلام الحسيني ٢٩
عالمية الشعائر الحسينية ٣٠
تحمّل الصعاب والمعضلات ٣١
عظمة الشعائر الحسينية ٣٢
موضوعان أساسيان ٣٤
دعم الشباب للشعائر الحسينية ٣٥

التمسك بقضايا الإمام الحسين عليه السلام ٣٧

التمسّك بقضايا الإمام الحسين عليه السلام ٣٩
رأس كل خطيئة ٣٩
معنى الدنيا ٤١
مسؤولياتنا قبال القضية الحسينية ٤٢
الارتباط الوثيق بالشعائر الحسينية ٤٤
زيارة الإمام الحسين عليه السلام مع الخوف ٤٥
الحذر من مكائد الأعداء ٤٦
مسؤولية العلماء الأعلام تجاه القضية الحسينية ٤٩

المحتويات ٥١